● انه المسرح .. المسرح / عبد الكبير الخطيبي

صدر للاستاذ عبد الكبير الخطيبي هذه السنة كتابان بالفرنسية ، الاول مسرحية بعنوان : « النبي المقنع » عن دار « هارطمان » . والثاني رواية بعنوان « كتاب الدم » عن دار جاليمار » .

« النبي المقنع » مسرحية تعيد بحرية كتابة قصة حكيم بن هشام المسمى بالمقنع ، ادعى النبوة في القرن الثامن الهجري بايران ، وهذه الكتابة الخاصة تجمع ما بين الماضي والحاضر ، ولذلك تاخذ بعدها مع انتصار الثورة الشعبية الايرانية .

اثبت الاستاذ الخطيبي في نهاية الكتاب كلمة عن وجهة نظره في المسرح نترجمها للقارىء بغير عنوانها الاصلي .

ولكن المسرح لم يمت ابدا . لانه تاسس في الاصل اعتمادا على قانون المصير الدرامي ، لانه مسقي بشعر ساطع كان يداعب الآلهة بثينا كما لو انها افكار محمومة ، تهيج نشوة العاطفة، سكر الفكرالامحدود ، رافعة ومعلية مصير الانسان نحو اللعبة الكبرى للمسرح الكوني ، فاشرة فرح الجسم والصوت في فضاء مسحور بالاساطير ، واطفال الالواعي ـ الاحلام اللامعة ـ كانوا يلطفون غوايتها بأكاليل زهر الموسيقى والرقص ، باندماج اللغة في لغة قبلية قديمة، ملتحمة بالجسد الانساني ، ملتحمة اكثر بحيث كان يلزم تعزيز فلسفي للآلهة والاساطير العظيمة لتقريب الفكر التائه من عالمها ، لالتقاط الرموز منها ، تلك المسجلة في الحيوان المكبوت ، في النبتة اثناء يقظتها والعناصر الاربعة للنظام البدئي ، في المسرح الكوني ، كان الانسان يحاكي للطبيعة، وكانت هذه تشيد من اجل رغبته الخاصة مسرحا في الجسد والفكر الانساني ، كانت تلاعب مصيره ومونه ،والانسان ، بتحوله الى شخصية داخل هذا المسرح الكوني ، كان يكتشف رعب حدوده ، باحثا صحبة فن فزع وماكر عن الجمال الطبيعي ، الذي لم يقص ابدا ، لم يتقلص ابدا ، لم ينتف مطلقا ، والذي كان يعيش في الحنين الى هذه اللغة القبلية ، كان الانسان يتحاشى رعبه في رموز مشبكة ، رموز كانت تعين الغياب المشع لفكره ، مالئة ، غازية كل فضاء وكل زمن بحادث الاسطورة ، كلما كانت تجيء اسطورة عظيمة ، يكون تاريخ الشعوب مرتجا ، ومن جديد كان يبرز مؤسسون للقانون ، غزو وراء غزو مصاحبا الاسطورة تلو الاسطورة ، حاملا مآسي دامية جديدة للمرئي واللامرئي ، الى ان ارتعش الانسان لكونه مسلسلا بالوحدة التامة للمرئي واللامرئي ، وحدة مخيفة ، دموية ، للمرئي واللامرئي ، واذن ولدت اورفي ، ولدت اوديب، وولدت وجوه متعددة ، وجوه رائعة متعددة لازمت ايمان القابلين للموت ، لا التفات ، لا رؤية ، المشي ، مكابدة الالم ، والعيش محكوما بالتغني متالما ، كان المرئي يتمزق داخل جسد الانسان المجبر على السعي الى المستحيل ، على السقوط فيما هو اشد انحطاطا من وحشية البدئية ، على اذهال الامهات الزانيات ، على قتل ابنائه واورفي مجتذبا ومستهويا مسمع الحيوانات ، لم يكن يعرف أن الطبيعة الشيطانية ، كانت تتسلى بها في المسرح الكوني ، ساذجا كان ، ساذجا في الحب والموت ، يغني اللامرئي الذي كان يتوارى عن موسيقاه المفتونة والفاتنة ، فسخت جسده الهيجانات بينما كان موته المنشد يتجسد ، لكننا نحن المتاخرين ، الجنس المتاخر ، نحن وطانيو الآلهة المتلاشية والحكايات المهجورة نحن نوام شهرزاد الماكرة بالكلمة السهلة ، نحن عشاق الحكاية الخرافية ، نرغب في مثل قربان الآلهة الاغريقية لهذا الشعب الوثني ، الذي كان يعتبر مسرح العالم مسرحه الخاص ، كان يلزم كبرياء لا حدود له وشعر لا حدود له من اجل ان يظهر المسرح ، المسرح ، المسرح ! كان يظهر ، ليس فقط كتجل للاشياء والكائنات (خيالية وحقيقية) ، ولكن التجلي نفسه ، المرئي نفسه ، كانا قد اسرا من قبل مسبقا حسب العودة

الخالدة للمسرح الكوني ، عودة تنسحب من الانسان خيلاء كانسان ، لو لم تكن طبيعتنا الشعرية ملجأ مسكونا بهذا المسرح واذن سأقول لك بهدوء ، بصميمة ، اعمق الى حد الحنان، بان المسرح لم يمت قطعا ، انه لن يختفي الا باختفاء الشعر ، معنى ذلك عندنا ، بنهاية اللغة الانسانية ، المسرح ! المسرح شعر : يلزمه ان يمتلك الصرامة ، العنف المحتال ، والفرح «الديونيسي»، مما هو لازم لبنائه : الشخصية حزمة من كلمات وحركات تتخلل صمت كل حياة ما تزال ممكنة، الشخصية رمز ، شارة تتوج نفسها بفكرتها الخاصة ، انها تخلق نفسها بنظريتها المتميزة في الظهور ، في المرئي واللامرئي ، الشخصية : رمز ، نعم ، رمز . بمعنى انه لعبة على حدود الحقيقي ، مؤتمنة على ما لم يكنه للانسان قط ، بمعنى شاعر الجمال المفكر للاشياء ، شاعر جسيد المرئي ، شارة من بين الشارات ، في المسرح الكوني ، المسرح ! المرسح ! انه يصرح من العالم بحادث ماساوي ، حادث رغبة بدائية ، وعائدة ، تنطلق هذه الرغبة في شظايا داخل سكر رقصة الدراويش الجوالين ، اضحك والتقت ، وأدير فكرة المسرح صوب الشرق المنسي ، وحيث ما تزال تعرض الفرجة الانتشائية أمام اعيننا ، لكن عنصرها الاكثر سريبة والاكثر عنفا مخصص للمطلعين على الاسرار ، المسرح ! المسرح ! سأقول لك على مهل ، وبهناء لاعث ـ بان هذا المسرح البدائي ما يزال يحيا في كل رغبة موجهة نحو الاشتهاء والمسرح الكوني ، : لنصن فكرة الاشتهاء هذه ، فكرة الجمال هذه ، لكنه جمال متحول الى مسرح متجاوز الاساطير القديمة والحكايات الشائخة ، لنصن حالات الموجدة ، هذا الغضب الراقص ، وهذا التقطيع للمتعة ، لنردد بعناء نداءنا لنشوة الرغبة من اجل ان تتسع فكرة المسرح العظيم ، الذي هو ماساوي الى النهاية ، متناقض مع الحياة ومع الموت ، مسرح مطرق بالسهر الشرس ، مرتج ايضا بالضحكة وبالمزاح الساخر من نفسه ، لا يلزم فقط مسرح داخل المسرح كتجل للتجلي ، ولكن ايضا يلزم الانتهاء من ذلك بمفاهيم المرئي واللامرئي ، يلزم ادخال ما قد يرى ويلاحظ ويلمس بواسطة الحواس المثقفة للانسان ، في هيئة الممثلين وفي كل ما ينتظم عليه المسرح ، ارعاش كل هذا المشهد بجمال فظيع ، مقبول تقريبا ، اريد ان اقول اخيرا : مسرح لا انساني ، حيث يصبح الانسان « العبقري الوجود » لكل شيء : المسرح ! المسرح ! نعم بالكلمة الشعرية وبالحركة ، نعم بالصورة الحية ، بالانشاد ، بالموسيقى والرقص ، كل شكل يتحوله في الاشكال الاخرى ، وتوظيفه للاساس النابع من كل فن ، النابع والمتدفق في اللغة البدائية المسجلة في كل شيء مذوجة الشيء صوب الجمال المفكر ، وبتحكمه في هذه المجموعة من الاشكال المنسجمة ، ينبغي للمسرح المتسم بالخطورة ان ينزل الى الحرم الكوني للرغبة ـ وحدة مزدوجة للموت والحياة ـ يلزمه ان يرتفع بالارض ، مبدا الارض نحو نهاياته الانتشائية ، على المخرج أن يبرز هذه الوحدة الممزقة ، عليه ان يبعث في كيان الممثلين ، في صوتهم وفي جهازهم العضلي مقتضيات الحركات الخارقة ، عليه أن يصر باهتمام متزايد على أن يشوش كونيا فضاء المسرح ، على أن يمحوره ، ويوجهه نحو انفجار للخارق ، خارق مختوم بحقة المفكر لكل شيء ، هناك حيث يستمر في الحديث عن نفسه الشيء المشوه ، مفصولا عن اصوله بواسطة احتيال ساحر ، عليه ان يثير سحر الجسد والفكر هذا ، هناك حيث يسهر الجمال ومكسورا في نموه ، هنالك حيث قلب وفكر الانسان مهاجمان اكثر من اي وقت آخر ، مسمومان ومقيدان بالموت المنبت اكثر من اي وقت آخر ، ينبغي ان نظهر لهذا الانسان ، في مسرح يكون قريبا الى نفسه ومع ذلك غير محتمل اصلا ، مسرح مستدعى من جديد بواسطة الماساوي ، ان نظهر له اذن انحطاط جسده وكيانه ، أن نرميه بأناة ولكن دون اغاثة داخل قواه التي تفترسه ، لكي يتمكن ، مستشعرا خرابه بخطورة ، من أن يخرج من حدود الحياة : حينئذ سيظهر جمال آخر للمصير ، مسرحنا على المشهد الكوني .